قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (الأدب الجزائري) السنة ثالثة ليسانس، تخصص: نقد ومناهج

إعداد الأستاذة:حسناء بروش

المحاضرة رقم: 03

يوم: 2021/02/10

الأفواج: 01-02-03-04

عنـــوان المحاضرة: واسيني الأعرج وسؤال الحداثة

يعلن التجريب لدى واسيني الأعرج القطيعة مع أنساق السرد التقليدي في نمطها الواقعي، ليمعن في مغامرة مفتوحة على أكثر من أفق كتابة تجدد نسغها في صيرورة بحث عن المغاير من أشكال السرد وأنساق الخطاب ومستويات اللغة قصد بلورة رؤية الذات في علاقتها بالعالم وصياغة الموقف التي وسمت مرحلة الجزائر المستقلة، وكانت تستدعي تحولات في جماليات النص السردي حتى يكون قادرا على استيعاب الإشكاليات المستجدة والتحديات المتولدة عنها.

وهكذا فإن التجريب في تصور واسيني الأعرج فعل إبداعي حداثي يستمد العلامات الدالة على حداثته من تلك المزاوجة بين ثقافة الأنا الأصلية وثقافة الآخر الغربية. وهي المزاوجة التي تكسب مذهب التجريب الروائي لدى هذا الكاتب ميسم الاختلاف الذي تجسده نصوصه الروائية.

تكشف رواية "وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر" عن مظاهر عديدة تنهض مؤشرات دالة على انخراطها ضمن مسالك التجريب، فالتخوم بين الروائي والسيري تتداخل مما يربك العلاقة بين ميثاقي الرواية والسيرة الذاتية، وذلك من خلال استعادة الكاتب لجوانب من طفولته البائسة ونضال والده النقابي بفرنسا قبل أن يستشهد في حرب التحرير، فكان اشتغاله على الذاكرة والتداعي والحلم، السبيل إلى اختراقه الأنساق التقليدية للسرد واستبدالها بأخرى تقوم على تداخل الأزمنة لا تعاقبها.

ويتابع واسيني الأعرج من جهة التجريب في رواية "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" والتي تطرح قضية التاريخ النضالي للحزب الشيوعي الجزائري إبان حرب التحرير من منظور نقدي يعارض التاريخ الرسمي الذي درسته السلطة عن هذا الحزب.

وتتكرر في هذه الرواية أبرز مظاهر التجريب التي وسمت رواية الكاتب السابقة من استثمار لتقنيات التذكر والحلم والتداعي والأغاني الشعبية المغاربية والأمثال، مما يجعل الإضافة كامنة في مظهرين: أولهما استثمار عنصر من عناصر التراث الشعبي يتمثل في الزردة وما يميزها من طقوس، وثانيهما اختراق السائد من أعراف البيئة وأحكامها الأخلاقية.

وتعد رواية الكاتب الثالثة " نوار اللوز أو تغريبة صالح بن عامر الزوفري" تحولا نوعيا في مسيرة تجريب الروائي بحكم نزوعه في كتابتها إلى التأصيل الروائي من خلال استثمار السيرة الدلالية من منظور نقدي يتأسس على استعادة هذا النص التراثي الشعبي ومجادلته قبل تدميره وإنشاء النص البديل الخاص وهو تغريبة صالح بن عامر الزوفري في ظل بني كلبون/ السلطة الحاكمة في جزائر الاستقلال، مما يفيد أن معارضة الكاتب لنص التغريبة الأصل تغريبة بني هلال انتهت به إلى مفارقته بإنتاج نص تغريبة جديدة يختلف عن الأول في الزمان والمكان وبينة الشخصيات وأبعادها ولغة الحكي والحوار، وهو ما يشكل اختراقا لقدسية التراث السردي ونوعا من التحرر من وطأة هذا التراث دون إنكار ماله من قيمة.

أما رواية "مصرع أحلام مريم الوديعة" فيتركز التجريب فيها على اللغة المتشعرنة التي تعكس التعالق بين السردي والشعري، وقد وفق الكاتب في الانزياح بها عن اللغو أو التفاضح الذي وسم عديد الروايات التي رام أصحابها الاشتغال على اللغة بأفق حداثي يجعل منها فضاء إبداع لا سبيل إخبار أو تواصل فحسب، وهو ما .... له بهذا المقطع "لسنا لعنة هذه المدينة يا مريم الوديعة، لن تمنعنا تفاصيل الحزن عن عيش حالة الفرح حتى الموت، قلبك واسع سعة السواحل التي أنجبتك وجميل مثل هذه الأنجم التي أجبروها على النوم في متاحف المدينة".

وقد عمد الكاتب إلى أسطرة شخصية مريم/ الرمز الشفيف للوطن/ الجزائر، بأن جعلها البنية التي سقطت من رحم موجة هربت من ظل مجهول وتكسرت على متاعب صخور الشط المهجور.

كما تقصَّد إبقاء الراوي دون اسم وجعله يلتبس بالكاتب في العديد من مقاطع الرواية، مما جعل هذه الأخيرة تلتبس بالسيرة وقد تعددت الأصوات السردية ومن ثم الرؤى فتحاورت أصوات السارد والكاتب والجماعة والتراث السردي، من خلال استدعاء: دون كيشوت، وألف ليلة وليلة وغيرهم.

ويقطع التجريب مسافات أبعد وأغوار أعمق في رواية "فاجعة الليلة السابعة بعد الألف– رمل الماية" حيث يستثمر الكاتب نص ألف ليلة وليلة، بحثا عن سحر جديد للحكاية من خلال التراث عبر غواية السؤال ولذة المجادلة وفتنة الاختراق لهذا النص/ الأصل على أكثر من صعيد. فمنذ العنوان يتم اختراق عدد الليالي بإضافة ست إليها، بحجة غياب الدليل على انتهاء حكايات شهرزاد عند حدود الليلة الواحدة بعد الألف ومن ثم يتم التركيز على الليلة السابعة بعد الألف، والتي وردت مقترنة بالفاجعة مما يفيد أن زمن الموت لم ينته عند حدود الليلة الواحدة بعد الألف بتوقف شهرزاد عن الحكاية بل نجده يتواصل مع أختها دنيازاد التي تقوم مقامها. فتواصل الحكاية طوال الليلة السابعة بعد الألف وهي ليلة استقرت زمنا لا

محدودا على خلاف الليالي الألف لتقترن بالمطلق فتتحول بذلك دنيا زاد من الصمت إلى النطق لتكشف عن الحقائق التي تعرفها عن الملك شهريار وعن الأسرار التي كانت أختها شهرزاد تخفيها عن مولاها شهريار خوفا من بطشه وهو ما جعل الحكاية تخسر سحرها منذ أن تآلفت شهرزاد مع ملكها فيكون بذلك الانزياح عن النص/ الأصل، بتبادل الأدوار بين شهرزاد ودنيا زاد وبمفارقة حكايات هذه الأخيرة لتلك التي كانت تسردها أختها شهرزاد على شهريار بحكم امتلاكها جرأة الحديث عن المسكوت عنه في السياسة. في زمن آخر غير زمنها الأول، فتسرد دنيا زاد لشهريار الفواجع والمواجع والتاريخ الذي نُسيَ.

أما رواية "شرفات بحر الشمال" فهي نص يضج بالتقنيات والعناصر التي عمد الكاتب إلى استثمارها دون أن يضيف إليها جديدا ماعدا توظيفه لفن النحت من جهة ورسمه الجمالي لفضاء المنفى من جهة أخرى، وهما عنصران يحملان الرؤية السياسية لوطن/ المحنة وآثاره على كينونة الذات الكاتبة وصيرورتها وهي رؤية ناقدة ومدينة للسلطة والجماعات الإسلامية على حد السواء، إذ يحمل كل منهما ما آلت إليه البلاد من دمار وما أصاب العباد من أشكال تهافت وانكسارات وما انتهوا إليه من مصائر فاجعة.